الرسالة

(١ كورنثوس ٤: ٩-١٦)

يا إخوةُ إنَّ اللهَ قد أبرزَنا نحنُ الرسلَ آخِري الناسِ كأنَّنا مجعولونَ للموت. لأنَّا قد صِرنا مشهداً للعالمِ والملائكةِ والبشر* نحنُ جهَّالٌ من أجلِ المسيحِ أمَّا أنتم فحكماءُ في المسيح. نحنُ ضُعفاءُ وأنتم أقوياءُ. أنتم مُكرَّمون ونحنُ مُهانون* وإلى هذه الساعةِ نحنُ نجوعُ ونعطَشُ ونَعْرى ونُلطَمُ ولا قرارَ لنا* ونتعبُ عامِلين. نُشتَمُ فنُبارك. نُضطَهدُ فنحتمِل* يُشنَّعُ علينا فنتضرَّع. قد صِرنا كأقذارِ العالمِ وكأوساخٍ يستخبِئُها الجميعُ إلى الآن* ولستُ لأُخجِلَكُم أكتبُ هذا وإنَّما أَعِظُكُم كأولادي الأحبَّاء* لأنَّه ولو كان لكم ربوةٌ من المُرشدينَ في المسيحِ ليسَ لكم آباءٌ كثيرون* لأنّي أنا وَلَدْتُكم في المسيحِ يسوعَ بالإنجيل* فأطلبُ إليكم أن تكونوا مقتدين بي.

إلى متى أكون معكم؟

يقع الإنجيل الذي يُتلى على مسامعنا اليوم مباشرة بعد حادثة تجلّي الربّ على جبل ثابور (١٧: ١-٩). نفهم من سياق الإنجيل أنه بعد عودة الرب يسوع مع تلاميذه بطرس ويعقوب ويوحنا من الجبل، تقدَّم إليه رجل وقال له انه أحضر ابنَه الممسوس من الشرّير إلى تلاميذه ولم يستطيعوا أن يشفوه، فامتعض الربّ بشدّة من عدم الإيمان.

كان الربّ يسوع قد منح التلاميذ سلطانًا ليخرجوا الأرواح النّجسة ويشفوا كلّ مرض وكلّ ضعف (مت ١٠: ١)، وهم أنفسهم قالوا للربّ بفرح: «يا ربّ، حتّى الشياطين تخضع لنا باسمك» (لو ١٠: ١٧)، لكنّهم لم يستطيعوا هذه المرّة أن يشفوا ذاك الإنسان. أدخلَ عجزُ التلاميذ الشكّ في قلوبهم وفي قلب الوالد. يظهر هذا من كلام الوالد الوارد في السرد المرقسيّ لهذه الحادثة، إذ قال الوالد للربّ: «إن كنت تستطيع شيئًا فتحنّن علينا وأعنّا» (مر ٩: ٢٢). كان الكتبة أيضًا، بحسب الإنجيليّ مرقس، يتحاورون مع التلاميذ من جهة أنّهم لم يستطيعوا أن يشفوا الصبيّ، فصار عجزهم مصدر شكٍّ بقدرة الربّ الذي أعطاهم سلطان الشفاء.

عاتب الربّ يسوع الجمع قائلاً: «أيّها الجيل غير المؤمن الأعوج، إلى متى أكون معكم، حتى متى أحتملكم» (مت ١٠: ١٧). ما يزعج الربّ حقًّا أنّنا قد نقع بسرعة في عدم الإيمان. فرغم كلّ المعجزات التي يعملها معنا، إن لم يستجب مرّة واحدة لمطالبنا، أو إن لم يستجب مباشرةً فإنّنا نبدأ بمساءلته. الإعوجاج هو أننا نكون غير واثقين بالربّ وبقدرته ونتقدّم إليه بتردّد، لهذا أراد الربّ أن يزيل الإعوجاج من إيماننا مظهرًا أهميّة الصدق، حتى لو كان إيماننا ضئيلاً. قال للوالد: «إن كنتَ تستطيع أن تؤمن فكلّ شيء مستطاع للمؤمن» (مر ٩: ٢٣). حرّك هذا الكلامُ الإيمانَ في قلب الرجل وجعله يصرخ بدموع، والدموع هي إحدى علامات الصدق، فقال للربّ: «أؤمن يا سيّد، فأعن عدم إيماني» (مر ٩: ٢٤). إعوجاج الكتبة ظهر في مكرهم، إذ كانوا يريدون أن يمسكوا على المسيح عدم قدرته على صنع

العدد ٣١ / ٢٠١٨

الأحد ٥ آب

تقدمة عيد التجلّي

الشهيد إفسغنيوس

اللحن الأول

إنجيل السَحَر العاشر

المعجزات. أمّا من جهة التلاميذ، فإنّ إعوجاجهم قد يكون في ازدرائهم بموضوع صنع العجائب، إذ يمكن أن يكونوا قد اعتبروا أنّ صنع العجائب أصبح أمرًا بديهيًّا بالنسبة إليهم، لذلك يقول لهم الربّ في وقت لاحق إنّ صنع المعجزات، وإن كان عطيّة من الله، إلاّ أنّه بحاجة إلى إيمان مع صلاة وصوم.

بعدما صنع الربّ المعجزة وحقّق الشفاء، تقدّم التلاميذ إليه على انفراد لأنّهم خجلوا أن يسألوه أمام الناس، واستفسروا منه عن عجزهم في صنع المعجزة. أرجع الربّ عجزهم إلى عدم إيمانهم. فرغم كلّ ما عاينه التلاميذ ورغم المعجزات التي عملوها هم أنفسهم، نسمع الربّ يقول لهم: «لو كان لديكم إيمان مثل حبّة الخردل لكنتم تقولون لهذا الجبل انتقل من ههنا إلى هناك فينتقل ولا يتعذّر عليكم شيء» (مت ١٧: ٢٠). حبّة الخردل هي أصغر البقول إطلاقًا، والله يريد إيمانًا من نوع مختلف، إيمانًا ينقل الجبال. قد يكون الجبل ماديًّا أو جبل صعوبات أو خطايا أو أمراض، أو قد نفهم أنّ الربّ يسوع أشار، بعد تجلّيه، إلى جبل التجلّي الذي نستطيع نقله إلى أيّ مكان. إن كان إيماننا حقيقيًّا بابن الله، ولو بمقدار حبّة خردل، فإنّنا ننقل خبرة معاينة ابن الله متجلّيًا ومتوشّحًا بالنّور، الذي هو محور العهدَين القديم والجديد. حينئذٍ ندرك أنّ حضور ابن الله هو الذي يقدّس حياتنا ويصنع المعجزات، فلا نعود نطلب شيئًا، بل نكتفي بحضوره معنا. سأل أحدهم القدّيس بورفيريوس الرّائي: «ما هو أفضل ما أطلبه في صلاتي؟»، أجابه القدّيس: «لا شيء، إنّ الله يعرف أكثر منك ما تحتاج إليه، قل باستمرار صلاة يسوع: ربّي يسوع المسيح ارحمني أنا الخاطئ». عندما يكون الله معنا، لا يتعذّر علينا أيّ شيء: «أستطيع كلّ شيء في المسيح الذي يقوّيني» (في ٤: ١٣).

«هذا الجنس لا يخرج إلاّ بالصلاة والصوم» (مت ١٧: ٢١). أراد الربّ أن ينهي حديثه عن الإيمان بالتّشديد على أهمّيّة الصلاة والصوم. الإيمان هو مِثل الزرع الذي، إن غرسناه، يحتاج عناية ليكبر، وهذه العناية هي الصلاة والصوم. نصادف شياطين تسعى إلى زعزعة إيماننا، قد تكون هذه الشياطين أيّ أمر يسبّب لنا المشاكل المتنوّعة. علينا أن نصلّي ونصوم ليتقوّى إيماننا بحضور الله معنا، وهكذا يمنحنا ربّنا الغلبة على التجارب. الربّ سأل: «إلى متى أكون معكم؟»، وفي سؤاله شيءٌ من العتب، لكنّنا نثق بأنّ الله يكون معنا كلّ يوم حسبما أكّد لنا قبل صعوده إلى السماء حين قال: «ها أنا معكم كلّ الأيّام إلى انقضاء الدّهر» (مت ٢٨: ٢٠).

عنب التجلّي

تعيّد كنيستنا المقدّسة في السادس من شهر آب لتجلّي ربّنا وإلهنا ومخلّصنا يسوع المسيح على جبل ثابور أمام تلاميذه بطرس ويعقوب ويوحنّا (مت ١٧: ١-٩).

تبارك الكنيسة في يوم التجلّي ثمرَ الكرم، أي العنب، الذي منه يُستَخرج الخمر، المُستعمل في الذبيحة الإلهيّة والذي يتحوّل خلال القدّاس الإلهيّ إلى دمِ الربّ،

الإنجيل

(متى ١٧: ١٤-٢٣)

في ذلك الزمان دنا إلى يسوعَ إنسانٌ فجثا له وقال يا ربُّ ارحمِ ابني فإنّهُ يُعذَّبُ في رؤوسِ الأهِلَّةِ ويتألَّم شديداً لأنَّه يقعُ كثيراً في النار وكثيراً في الماء* وقد قدَّمْتُهُ لتلاميذِك فلم يستطيعوا أنْ يَشفوهُ* فأجاب يسوع وقال: أيُّها الجيلُ غيُر المؤمنِ الأعوجُ إلى متى أكونُ معكم. حتَّى متى أحتملُكم. هلمَّ بهِ إليَّ إلى ههنا* وانتهرهُ يسوعُ فخرجَ منهَ الشيطانُ وشُفي الغلامُ من تلك الساعة* حينئذٍ دنا التلاميذُ إلى يسوعَ على انفرادٍ وقالوا لماذا لم نستطِعْ نحن أنْ نُخرجَهُ* فقال لهم يسوع لِعَدَمِ إيمانِكم. فإنّي الحقَّ أقولُ لكم: لو كانَ لكم إيمانٌ مثلَ حبَّةِ الخردلِ لكنتم تقولون لهذا الجبلِ انتقِلْ من ههنا إلى هناك فينتقِلُ ولا يتعذَّرُ عليكم شيءٌ* وهذا الجِنس لا يخرجُ إلاَّ بالصلاة والصوم* وإذ كانوا يتردَّدون في الجليل

قال لهم يسوع إنَّ ابنَ البشر مزمعٌ أن يُسلَّمَ إلى أيدي الناس* فيقتلونهُ وفي اليوم الثالث يقوم.

تأمل

الرب حاضر في كل مكان. إنه يحيا في قلوبنا. لهذا أوصانا أن نحبَّ من كل قلوبنا وأن نفعل كل شيء طوعاً (راجع مت ٢٢: ٣٧). حين نطلب الربَّ من كل قلوبنا نجده هناك! إنه أبونا. الوالدان الجسديان يطلبان أن نهتمَّ بهما. يريدان أن نبادلهما الحبَّ نفسه الذي أغدقاه علينا. لكن ماذا يحدث؟ نحن كثيراً ما نتسبَّب لهما بالحزن. لذا، حين نطلب الله يجب أن نطلبه من كلِّ قلوبنا. حين نسعى لأن نفعل كل شيء من القلب تكون صلاتُنا صادقة وحارّة ونحبُّ والدينا وأقرباءنا ويكون الربُّ معنا.

كل عمل نقوم به هو في الوقت نفسه صلاة، إذ تكون أفكارُنا مرتكزة على العمل، وحين نؤدّيه من القلب هذا يعني لأننا نقوم فنتناول منه لمغفرة الخطايا والحياة الأبديّة. نرتّل بعد إنجيل سحر العيد: «يا مَن قدّستَ كلّ المسكونة بنورك أيّها الصّالح، لقد تجلّيتَ على جبل عال، وأريتَ تلاميذكَ قدرتَك وأنّكَ ستنقذ العالم من المعصية، فلذلك نهتف إليك: أيّها الربّ المتحنّن خلّص نفوسنا». كما أنّنا نبدأ في نهار التجلّي بترتيل كاطافاسيّات عيد رفع الصّليب الكريم المحيي. بعد ذلك نتابع ونرتّل في الإينوس (كلّ نسمة...): «مِن قَبْلِ صلبِكَ الكريم وآلامك، أخذت الذين اخترتهم من تلاميذك الأطهار وصعدتَ بهم أيّها السيّد على طور ثابور مريدًا أن تريهم مجدك...» وأيضًا: «يا مَن هو قبل الدّهور الإلهُ الكلمة، أيّها المتسربل بالنّور كالثّوب، لقد تجلّيتَ أمام تلاميذك أيّها السيّد وأشرقتَ بما يفوق الشّمس...». لا ننسى أيضًا قنداق العيد القائل: «تجلّيتَ أيّها المسيح الإله على الجبل، وحسبما وسع تلاميذك شاهدوا مجدك، حتّى عندما يعاينوك مصلوبًا يفطنوا أنّ آلامك طوعًا باختيارك، ويكرزوا للعالم أنّك أنتَ بالحقيقة شعاعُ الآب».

ذكرنا كلّ هذه التراتيل لنشدّد على أنّ الكنيسة لا تقوم بأيّ أمرٍ إعتباطيًّا مهما كان ومهما ظهر بسيطًا. العنب هو ثمر الكرم، كما قلنا، ونحن نطلق لقب الكرم في الكنيسة على والدة الإله، الأمر الذي يعني أنّ ثمر الكرم هو المسيح: «يا والدة الإله أنتِ الكرمة الحقيقيّة الحاملة ثمرة الحياة...»، «أيّتها النقيّة، لمّا شاهدتِ العنقود النّاضج الذي حملتِه في حشاكِ بلا فلاحة معلّقًا على الخشبة، إنتحبتِ مولولةً وصارخة: يا ولدي المحسن، أقطر حلاوةً تطفي كلّ سكر الآلام، مظهرًا تحنُّنَك لأجلي أنا التي قد ولدتك». هاتان الترنيمتان الأخيرتان نرتّلهما لوالدة الإله على مدار السّنة، وهما تحملان المعنى الحقيقيّ للتجلّي ولتبريك العنب، وتذكّراننا بهذا المعنى طوال العام. عندما يحزن الإنسان حزنًا شديدًا، يلتجئ في الكثير من الأحيان إلى معاقرة الخمر لكي ينسى حزنه، إلاّ أنّ هذا الحزن يزول مؤقّتًا. هنا، تذكّرنا والدة الإله، من خلال مناجاتها للربّ المصلوب، بأنّها تتشفّع من أجلنا إلى عنقودها النّاضج، حتّى يقطر حلاوةَ دمه المسكوب على الخشبة، لكيما به يطفئ حدّة الآلام، وما من ألمٍ لدى المسيحيّ أصعب من ألم الخطيئة.

لذا، كان التجلّي قَبلَ الصلب بقليل، لكي يُفهمنا الربّ، عبر رسله الأطهار، أنّ هذا النّور المنبعث منه على جبل ثابور، هو نور القيامة. هذا النّور الذي أبهر التلاميذ، أوقعهم أرضًا، لأنّهم لم يكونوا بعدُ مستعدّين لاقتباله. أمّا نحن، الذين لبسنا المسيح في المعموديّة، وتسلّحنا بسلاح الصّليب، فمعنا كامل العتاد لتقبّل هذا النّور القياميّ واحتمال قوّته، شرط أن نكون قد حافظنا على لباس المعموديّة ناصع البياض، مثل ثوب المسيح الذي أشرق في التجلّي أنصع بياضًا من الثلج. نقول في قانون الفصح: «لننقِّ حواسّنا حتّى نعاين المسيح ساطعًا كالبرق بنور القيامة الذي لا يُدنى منه...»، وأيضًا: «هلمّوا بنا نشرب مشروبًا جديدًا، ليس مستخرجًا بآية باهرةٍ من صخرةٍ صمّاء، لكنّه ينبوع عدم الفساد، بفيضان المسيح من القبر الذي به نتشدّد»، كما نقول: «هلمّوا بنا في يوم القيامة المشهور،

نشارك ملكوت المسيح عصير الكرمة الجديد الذي للفرح الإلهيّ...».

يحمل لنا التجلّي مسيرةً خلاصيّة تبدأ من ولادة المسيح، ثمر كرمة العذراء، وتمرّ بالقيامة البهيّة، التي فيها نشرب مشروب القيامة الجديد، وتصل إلى الصعود الإلهيّ والجلوس عن يمين الآب: «ما بال ثيابك حمرًا وملابسك كأنّ لونها من تدويس معصرة ملأى مداسة» (القراءة الأولى في غروب عيد الصعود من نبوءة إشعياء النبيّ). الأمر لا ينتهي هنا، بل كنيستنا تستخدم عصير الكرم في كلّ عيدٍ ممتاز (تبريك خمس خبزات)، لتذكّرنا بأنّ القداسة تكون في أن نُعصَرَ كالمسيح من أجل الكلّ، مثلما فعل القدّيسون جميعاً .

يقول داود النبيّ: «يا إله الجنود، إرجعنّ، إطلع من السماء وانظر وتعهّد هذه الكرمة والغرس الذي غرسته يمينُك، والابن الذي اخترتَه لنفسك» (مز ٨٠: ١٤-١٥). في النهاية، علينا جميعًا أن نحتذي بالربّ إلهنا، الذي بذل نفسه من أجل خلاص الكلّ، وسفك دمه الكريم ليمحو به زلاّتنا. علينا أن نكون خمرًا مفرحًا لجميع مَن هم حولنا، ونجلب لهم الفرح الحقيقيّ، مثل الخمر الذي سقاه العريس السماويّ للحضور في عرس قانا الجليل، لا أن نكون خمرًا «دونًا» كالّذي قدّمه العريس الأرضيّ ليُسكر الحضور ويقدّم لهم فرحًا آنيًّا يعودون بعده إلى هموم الحياة وآثامها.

في المحبة

يا مسيحي! أيمكن أن نخلص من دون المحبة؟ مستحيل أن يحدث هذا إذا كنا بعيدين عنها. كيف يمكن أن نهرب من الظلمة إلى النور؟ كيف يمكن أن نتخلّص من الأحزان إذا كنا محرومين من الفرح؟ كيف يمكن أن نكون في الفرح إذا كنا خارج علية العرس، وإذا عدِمنا رؤيتك أيضاً أيها المخلّص؟

أين نجد السلام والتعزية؟ خارج الملكوت لا سلام ولا تعزية. قد يعتقد البعض أن هذا القول جنون. وقد يقولون: كيف لا يوجد مكان للسلام وللراحة خارج الملكوت وخارج علية صهيون وجوق الصدّيقين؟ يا لك من جاهل! قالت المحبة: ألا تعلم أن آدم جدك الأول، تعرّى من المجد الإلهي، وطُرد هو وحواء من الفردوس فوراً، وأنهما، بسبب لذة عابرة، سبّبا لنفسيهما الموت الشقي، والحياة المليئة بالكدّ والعرق، ونالا الحكم العادل في حياتهما ومماتهما.

إعلم أن هذا سيحصل عند الدينونة. من وُجد عرياناً من المجد الإلهي خارج الفردوس كآدم، أي خارج الملكوت، خارج عليّة الأعراس السماوية، سيُطرد فوراً. سيبقى الإنسان عارياً، حتى ولو لم تكن له خطيئة. سيبقى الإنسان عارياً، إذا كان مجرداً من فضيلة المحبة.

القديس سمعان اللاهوتي

عيد تجلّي الرب

بمناسبة ذكرى تجلّي ربنا وإلهنا ومخلّصنا يسوع المسيح تُقام صلاة الغروب عند السادسة من مساء الأحد ٥ آب والقداس الإلهي عند العاشرة من صباح الإثنين ٦ آب في كنيسة القديس نيقولاوس.

www.facebook.com/metbei

به من أجل الله. وإن ظننّا بأننا نؤدّيه من أجل شخصٍ آخر نكون مخطئين.

الصلاة من القلب هي صلاةٌ صادقة. صَلّوا دائماً من كلّ قلوبكم. الربُّ لا يتطلَّب منا فلسفة. بل علينا أن نُصلّي من القلب كما لو كنّا نتوجَّه إلى أبينا: «أيها الربُّ، أَعِنْ كلَّ نفسٍ ولا تنسَني أنا أيضاً. أَعِنْ كل إنسانٍ ليجدَ السلام ويُحبَّكَ كما تُحبُّكَ الملائكة. وأعطِنا أيضاً القوةَ لنُحبَّك كما تُحبُّكَ أمُّك الكليةُ القداسة وملائكتُك القدّيسون. وأعطِني أيضاً القوّةَ لكي أحبَّك بلا حدود!»...

حين نطلب المعونة من أحدٍ عالمين أنَّ باستطاعته مساعدتَنا فإننا نتوجَّه إليه بحرارةٍ ونتوسَّلُ إليه بكل كياننا قائلين: «أرجوكَ أن تفعل لي ذلك. أعرف أن بإمكانك أن تقومَ به». هذا يعني أننا نسأله المساعدة كوننا واثقين من قدرته على مُساعدتِنا.

الشيخ تداوس الصربي